القيادة الحازمة والإرادات الصلبة

الحزم في اللغة هو ضبط الأمور وإحكامها بقوة وصرامة شديدة وإظهار العزيمة فيها؛ أي اتقانها للوصول إلى النتيجة المرجوّة في الوقت المحدّد. وقد يكون الحزم بأخذ الأمور بالثقة والاتفاق. وكما قيل "لا خير في حزم من غير عزم"، أي القوة والإرادة الصلبة. والحزم هُوَ النّظر في الأُمور قبل الوقوع في المخاطر والتهلكة، وتدبير الأُمور على أحسن ما تكون من وجوهها؛ وهو القرار القاطع، الصلب من غير تردّد، الباتّ الذي لا رجعة فيه، والمواقف الواضحة والحازمة ذات التأثير الكبير والفعالية العالية.

في مثل هذه الظروف والتحدّيات التي يمرّ فيها الوطن، وما يتعرّض له الناس من استهدافات، تبرز الإرادات الصلبة من خلال القادة على اختلاف مكوّناتهم الدينية والسياسية التي تبتكر الحلول، وتعمل بكل مسؤولية وحيوية واخلاص، وتسعى جاهدة إلى الخير والمصلحة العامة، والسعي إلى توطيد دعائم الأمن والسلم الاجتماعي، متجاوزين كل العقبات والمشاكل، لتخرج بنتائج ومواقف وطنية اقتصادية، سياسية، أمنية تلبّي تطلّعات الشعب، بخاصة حين ترتبط برغبة عارمة في معرفة المتسبّبين بالأذى والانهيار، الذين يتجاوزون القانون ويخالفون الدستور والأخلاق.

يواجه العمل الحكومي الكثير من التحدّيات الصعبة، إذ لا بدَّ من مواكبتها من خلال القوة والإنسجام والعدالة والمساواة والحزم في اتخاذ وتنفيذ القرارات المصيرية على كافة الصعد، القضائية، التربوية، الإعلامية، الصحية، الزراعية والصناعية، كما الأمنية التي لم تتردّد الأجهزة المعنية يومًا في حسم المشاكل وإنهائها خلال فترة وجيزة، ما ترك ويترك أثرًا كبيرًا على مستوى ثقة الناس بالقادة المسؤولين الذين أثبتوا القدرة والكفاءة، وحسن التدبير والتنسيق، لإنهاء وحسم القضايا التي تشغل الرأي العام وتُقلقه، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى الشعور المتعاظم بالأمل في إمكانية تحقيق المزيد من النجاحات التي نحتاج فيها الى التعاون بين مختلف أجهزة الدولة لأنَّ شعبنا يستحق منها كل المؤازرة والدعم لتلبية حاجاته.

فماهي القيادة الحازمة؟ وما هي مبرّراتها؟

يقول المؤلف والكاتب الأميركي "بريان تريسي": إنَّ القادة يفكّرون ويتحدّثون عن الحلول، أما المتابعون يفكّرون ويتحدّثون عن المشاكل". وقيل أيضًا: "إخبار الناس ليس بما يريدون سماعه، ولكن ما

يحتاجون إلى سماعه هو عنصر أساسي للقدرة على القيادة" . إذ يمكن أن تكون القيادة تحدّيًا صعبًا، كأن تفعل أفعالًا وتقول أشياءً لا يريد الناس سماعها؛ والقيادة الحازمة لا تعني إرضاء الآخرين بل الإستعداد لقول الحقيقة كما هي بطريقة إيجابية وليست بطريقة سلبية.

تلك هي القيادة التي تحافظ على رؤية واسعة وتفكير واضح ومنطقي رغم كل المتاعب والمصاعب، وتبحث عن العدالة والمساواة والحقيقة لتتمسّك بها بكل إصرار وتشبّث مهما كلّف الأمر من تضحيات. وهي القادرة على اتخاذ القرارات الصائبة والرشيدة في الوقت المناسب. وهي القدرة أيضًا على الاجتهاد في الرأي والجهارة في إعلانه، وفي ابتكار الحلول الممكنة، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة، والانفتاح على الآخرين.

أما مبرِّرات وجود القيادة الحازمة والصارمة وفقًا للعديد من الباحثين والكتّاب، تتمحور حول أساليب قيادية مختلفة، تفرضها العلاقات الإنسانية، الاجتماعية والاقتصادية في التعامل مع العاملين التي تحت أمرتها، طبقًا لأهداف مؤسَّساتية وتنظيمية متعدِّدة، بهدف تحقيق التوازن بين أهداف المؤسَّسة وأهداف العاملين. إذ أنَّ البعض منهم أي العاملين، لا ينفع معهم أسلوب الشدَّة ولا أسلوب اللين، فالأسلوب المفضّل معهم هو الحل الوسط وذلك هو الحزم بالإختيار.

كما أنَّ البعض الآخر من العاملين في المؤسَّسة لا يتحمّل المسؤولية، ولا يخضع للنظام نتيجةً للعوامل التي تتغير من وقت لآخر، وبالتالي فإن القيادة التشاركية لا تلائمهم، ما يستدعي المرونة في الأسلوب القيادي والحزم في التعامل مع هذا النمط، لأنَّ العلاقات الإنسانية وحدها لا يمكن أن تحقّق القبول والتفاهم بين العاملين، وذلك هو الحزم في التطبيق.

والجدير ذكره استتباعًا للمعنى، أنه لا يُقصد أبدًا بالإدارة أو القيادة الحازمة السيطرة على الآخرين وإلقاء الأوامر، بل الأهمية تكمن بالقدرة على التعامل مع المرؤوسين والعاملين بأسلوب يخلق فيهم روح القبول والاكتفاء والتقدير والاحترام والشعور بالحرص على تحقيق الأهداف؛ وكما قيل سابقًا في هذا الخصوص:" لين في غير ضعف وشِدّة في غير عنف".

مميزات القائد الحازم

من أهم المميزات التي تُظهر القائد حازمًا تكمن في رؤيته وممارساته وتصرّفاته وأسلوبه وقراراته العادلة المتّخذة التي تتعلّق بالحاجات والضرورات الملحّة التي يرغب فيها الشعب، كما في التعبير عن

مشاعر المرؤوسين والعاملين تحت أمرته بشفافية ووضوح، إضافةً إلى النقد وتقبّل النقد بصورة حيادية، وتقبّل مبادرات واقتراحات الآخرين.

والقائد الحازم هو الذي يسعى ويركّز على النتائج والأهداف، مستمع ومقدّر ممتاز، يخلق مساحة جيدة للمرؤوسين والعاملين ليعّبروا فيها عن آرائهم متى شاءوا بكل احترام وحريّة كاملة.

هو الذي يعرف متى يضطر للتدخل في شؤون فريقه، ويسمح لهم بالتصرّف بدون الرجوع إليه، وليس من الحزم أبدًا متابعة الجميع بدقة والتركيز على أشياء هامشية تقلّل من اهتماماته.

هو الملمّ بعلم النفس البشرية والمعارف العلمية الحديثة لفهم الشخصية الإنسانية والتأثير فيها.

هو العارف بأنَّ طريق النجاح ليس واحدًا، لكنه متنوّع والأهم أنه يصل إلى تحقيق الأهداف والغاية المرجوة، من دون أن يفقد منظومة الأخلاق والقيم، بخاصة عند اتخاذ المواقف الصعبة ذات العمليات الشائكة التي تتطلّب قدرات ومواهب عالية، وخبرات حياتية متنوّعة. لأنَّ تجارب الحياة تؤكّد أنَّ القيادة الفعّالة غير ممكنة أخلاقيًا إلا بتوافر الحزم، والقائد الحازم هو من يجمع بين صفات الهدوء والحيوية، والمرونة والتوازن والشجاعة والصراحة والعطاء بغياب السذاجة والبساطة في النية والتفكير من جهة، كما بغياب العنف والمكر والخداع من جهة ثانية.

والقائد الحازم ذو شخصية مستقلة في العقل والإرادة والرأي السديد، ما يحتاج إلى بناء وجهد ومثابرة؛ وهو بنيان من المشاعر والأفكار والمصالح والانضباط، ما يتطلّب منه أُسلوبًا مميزًا في تعاملاته؛ كما أنَّ القيادة الحازمة لا تعني ألا يكون القائد بلا عيوب، ومعرفة الذات تتم بمعرفة الآخرين، من خلال التجربة والاحتكاك المباشر، وأن تكون من الشخصيات التي تتعلّم من أخطائها، لأنّها أحد وسائل التعلّم. فلا يبحث القائد الحازم عن إرضاء كل الناس، إذ يجب أن يتقبّل النقد والنصح، يحاور بذكاء ويفاوض بواقعية، ويبحث عن الفرص ويتوقّع التحدّيات والإشكالات.

أخيرًا على القائد الحازم أن يمتلك المال، تلك الأداة والوسيلة الأساسية إلى جانب أمور أخرى تحدثنا عنها آنفًا. ومن تلك الوسائل الخبرة والثقافة والمعرفة والمعلومات والعلاقات والسمعة الطيبة، إلى جانب إمتلاك السلطة والمقدرة. كما قيل : "إمتلك المال قبل أن يمتلكك الذين يمتلكونه، وامتلك السلطة حتى لا تقع تحت سيطرة الآخرين". فالتملّك يمنح القائد قدرة على التموضع والتمركز الجيّد، وامتلاك السلطة هدفا في كل علاقة مبنية على التوجيه والتأثير والقوة.

ما نطلبه إلّا أن يُمنَّ علينا بقيادات حكيمة حازمة ذات إرادات صلبة، تسعى للعدل والمساواة بين كافة أفراد المجتمع، وترعى حقوق مواطنيها للإصلاح والتطوير. كما أن يديم مجد الوطن بقوة وعزّة ورخاء أبنائه، ووحدة أطيافه ومكوّناته على الصعد كافة.

العميد الركن م. صلاح جانبين

٣ شباط ٢٠٢٢